



الكرسي الرسولي

CELEBRATION OF PALM SUNDAY OF THE PASSION OF THE LORD

عظة قداسة البابا فرنسيس

قداس أحد الشعانين

25 مارس/آذار 2018

ساحة القديس بطرس

[Multimedia]

يسوع يدخل أورشليم. تدعونا الليتورجياً لندخل ونشارك بفرح واحتفال الشعب القادر أن يصرخ للربّ ويسبّحه؛ إنه فرح مُظلم يترك طعاماً مريباً وأليماً بعد الانتهاء من الاستماع إلى رواية الآلام. في هذا الاحتفال، يبدو تشابكاً بين قصص الفرخ والألم، والأخطاء والنجاحات التي تشكل جزءاً من حياتنا اليومية كتلاميذ، لأنها تظهر المشاعر والتناقضات التي غالباً ما نعيشها نحن أيضاً اليوم، رجال ونساء زمنا الحاضر: قادرون أن نحبّ كثيراً... وأن نبغض -كثيراً أيضاً-؛ قادرون على القيام بتضحياتٍ ثمينة ونعرف كذلك كيف "نغسل أيدينا منها" في الوقت المناسب؛ قادرون على الأمانة ولكن أيضاً على النكوث وخيانات الكبيرة. ونرى بوضوح أن الفرخ الذي يولّده يسوع يسبّب تعباً وانزعاجاً للبعض.

يسوع يدخل المدينة محاطاً بشعبه، محاطاً بتساويح وبهتافات صاحبة. يمكننا أن نتصور أنها أصوات الابن الذي عُفر له، والأبرص الذي شُفي أو ثغاء الخروف الضال، أصوات تتردد صداها بقوة في هذا الموكب، كلّ الأصوات معاً. إنها تسيح العشار والنّجس؛ إنها صراخ الذي كان يعيش على هامش المدينة. إنها صراخ رجال ونساء تبعوه لأنهم اختبروا تعاطفه إزاء معاناتهم وبؤسهم... إنها التسيح العفويّ لكثير من المُهمّشين الذين، إذ لمسهم يسوع، استطاعوا أن يصرخوا: "مبارك الآتي باسم الرب!". وكيف لا يهتفون للذي أعاد إليهم كرامتهم ورجاءهم؟ إنه فرح الكثير من الخطاة الذين عُفر لهم واستعادوا الثقة والرجاء. وهم يصيحون. يفرحون. إنه الفرخ.

لكن هذا الفرخ المهلّل يُزعج أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أبراراً و"أمناء" للشرعة وللقواعد الطقوسية، ويصبح الفرخ بالنسبة لهم سخيفاً وشائناً^[1].

فرح لا يطاق بالنسبة للذين قد ألجموا مشاعرهم إزاء الألم والمعاناة والبؤس. الكثير من هؤلاء يفكّرون: "أنظر أي شعب غير مهذبّ هذا!". فرح لا يُحتمل بالنسبة لأولئك الذين فقدوا الذاكرة ونسوا فرصاً كثيرة أعطيت لهم. ما أصعب فهم فرح رحمة الله والاحتفال بها بالنسبة للذي يحاول أن يبرّر ذاته ويجد وضعاً مناسباً لنفسه! وكما يصعب المشاركة بهذا الفرخ بالنسبة للذين يتفنون فقط بقوتهم الذاتية ويشعرون بأنهم يتفوقون على الآخرين^[2]!

وهكذا تولد صرخة مَنْ لا يخاف أن يهتف: "اصلبه!". إنها صرخة غير عفوية، إنما صرخة مُحَاكَة، ومُدبَّرة، تتكون من الازدراء، والافتراء، وتقديم الشهادات الكاذبة. إنها صرخة مَنْ ينتقل من الحقيقة إلى الخبر. إنها صرخة مَنْ يتلاعب بالواقع ويخلق صيغة خاصة لصالحه ولا يهمنه إن "أدخَلَ الآخرين في مأزق" كي يهرب من العقاب. هذا خبر [كاذب]. إنها صرخة مَنْ، دون اكتراث، يبحث عن الوسائل لتقوية ذاته وإسكات الأصوات المغايرة لصوته. إنها صرخة مَنْ "يزيف" الواقع وبصوره بطريقة تقود إلى تشويه وجه المسيح وتجعل منه "لصاً". إنها صرخة مَنْ يريد الدفاع عن موقفه الشخصي مشككاً بالتحديد بمن لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. إنها الصرخة التي تولد من "مؤامرات" الاكتفاء الذاتي، والكبرياء والغطرسة والتي تعلن بدون اكتراث: "اصلبه، اصلبه!".

وفي النهاية يتم هكذا إسكات عيد الشعب، ويُدمر الرجاء، وتُقتل الأحلام، وتُكبَّت الفرحة؛ وفي النهاية يتصلَّب القلب وتبرد المحبة. إنها صرخة من يقول "فليخلص نفسه" والتي تريد تخدير التضامن، وإطفاء المثل العليا، وجعل النظر غير مبالٍ... إنها صرخة مَنْ يريد إلغاء التعاطف، ذاك "التألم مع"، التعاطف، والذي هو ضعف الله.

إن أفضل ترياق إزاء هذه الصرخات، هو أن تتأمل بصليب المسيح والسماح لصرخته الأخيرة بأن تحتنا على التفكير. فقد مات المسيح وهو يصرخ محبته لكل واحد منا: للشبان والشيوخ، للقديسين والخطاة؛ محبته لمن عاش في زمنه ولمن يعيش في زمننا هذا. لقد خلصنا على الصليب كيلا يطغى أحد فرح الإنجيل. كيلا يبقى أحد، في الحالة التي يوجد فيها، بعيداً عن نظرة الآب الرحيمة. التأمل بالصليب يعني أن ندع أولوياتنا وخياراتنا وأعمالنا، تدعونا للتفكير. يعني أن نتساءل حول تعاطفنا مع من يمر أو يعيش أوقاتاً صعبة. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، ماذا يرى قلبنا؟ أما زال يسوع سبب فرح وتسييح في قلبنا أم نستحي بأولوياته تجاه الخاطئين والآخرين والمنسيين؟

ولكم أيها الشباب الأعزاء: إن الفرح الذي يولده يسوع فيكم يتعب البعض ويزعجهم أيضاً، لأنه من الصعب التلاعب بشاب فرح. من الصعب التلاعب بشاب فرح!

ولكن توجد إمكانية اليوم لصرخة ثالثة: "قال له بعض الفريسيين من الجمع: يا معلم أنتهرو تلاميذك!" فأجاب: "أقول لكم: لو سكنت هؤلاء، لَهتفت الحجارة!" (لو 19، 39-40).

إن إسكات الشباب هو تجربة قد وجدت على الدوام. وقد هاجم الفريسيون أنفسهم يسوع وطلبوا منه أن يهدئهم ويسكتهم. وهناك أساليب عدّة لإسكات الشباب وإخفائهم. هناك أساليب عديدة لتخديرهم وتوهمهم كيلا "يزعجوا"، كيلا يتساءلوا ولا يطرحوا أسئلة، كيلا يحدثوا ضجيجاً. كي "يخرسوا!". هناك أساليب عدّة لإبقائهم "في حالة خمول" كيلا يتدخلوا، وهكذا تفقد أحلامهم قيمتها وتصبح تخيلات مُحطمة، تافهة وحزينة.

من الجيد لنا، في أحد الشعانين هذا، وإذ نحتفل باليوم العالمي للشباب، أن نُصغي إلى إجابة يسوع لفريسيي الأمس وكل الأزمان، وإيماننا هذه أيضاً: "لو سكنت هؤلاء، لَهتفت الحجارة!" (لو 19، 40).

أيها الشباب الأعزاء، لكم أن تصرخوا، لكم أن تختاروا صرخة "هوشعنا" الخاصة بيوم الأحد فلا تقفوا في صرخة "اصلبه!" الخاصة بيوم الجمعة... ولكم أيضاً ألا تبغوا صامتين. إذا صمت الآخرون، إذا صمتنا نحن الشيوخ والمسؤولون -الفاسدون في الكثير من الأحيان-، إذا صمت العالم وفقد الفرح، أسألكم: هل ستصرخون؟

من فضلكم، قرروا قبل أن تصرخ الحجارة.

[1] را. ر. غوارديني، الربّ، بريشيا-ميلانو 2005، 344-345.

[2] را. الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، 94.